مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٤ المجلد ١٤/ العدد ١

سورة الشمس قراءة في البعد اللغوي والأخلاقي

أ.م. د كاظم عجيل سربوت

جامعة القاسم الخضراء/كلية التربية البدنية

البريد الإلكتروني Email : dr.kadhuma.sarbot@sport.uoqasim.edu.iq

الكلمات المفتاحية: سورة، شمس، البعد، لغة، الأخلاق.

كيفية اقتباس البحث

سربوت ، كاظم عجيل، سورة الشمس قراءة في البعد اللغوي والأخلاقي، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، كانون الثاني ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Surah Al-Shams, a reading in the linguistic and moral dimension

Dr. Kadhum Ajeel Sarbot
Al-Qasim Green University/College of Physical Education

Keywords : Surah, Shams, Ethics.

How To Cite This Article
Sarbot, Kadhum Ajeel, Surah Al-Shams, a reading in the linguistic and moral dimension, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, January 2024,Volume:14,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The topic of ethics is one of the topics that aroused the interest of researchers, both ancient and modern. Rather, their interest in it extends from the ancient culture represented by Greek philosophy, as Socrates in his philosophy showed interest in man and his behavior, and raised many problems in the ethical environment, which still preoccupy the minds of intellectuals until the present era. He wanted to build morals on the mind, and put its foundations on firm rules, and canceled the return of morality to an external authority, so he released his famous saying: (Virtue is science, and vice is ignorance).

As for the Qur'an, it can be said that it is a moral book that calls for virtue in all its meanings, after man leads himself to the first source, which is God Almighty, and from this concept I started from one of the suras of the Holy Qur'an, which is Surat Al-Shams; To clarify the moral path that surrounds it that pushes to build a person as the venerable heavenly values wanted him, after showing him the ways that lead him to

the higher ranks in which she chose to be, although the research came in a part of this surah, whose verses reached fifteen verses, so he took the research The special part in morals of these verses, which are the ten verses of them.

The research has shown that God created man according to the common sense, (the nature that God created people with) and guided him to the helpers, either thankful or unbelieving, and thanksgiving is achieved by self-recommendation, and avoiding the intrusion of its goodness and lofty deeds; Because the goal is to raise the value of man to the status that was the goal of his creation, so it became clear from the research that usury, for example, has a clear material increase represented by an increase in the amount given, but on the other hand it is considered a moral defect; It degrades a person's worth and value by committing a sin that came by exploiting the efforts of others without getting tired or making any effort. While the zakat is a material loss; It is a graduation of excess money, so it decreases its amount, but the Qur'an showed that it is of moral value by which a person succeeds and rises to a position in which he is intended to be. This appeared from the rooting of the linguistic meanings that the Holy Qur'an came with in this meaning, although

The research was not satisfied with the opinion of the commentators, whether they were ancient, late or modern, but the science of ethics and psychology took a field in it. Because these two sciences have a clear impact that cannot be overlooked in clarifying the meaning of the verses, and the foreign sources had good additions that support what the interpreters and moralists can go to .

ملخص البحث:

يعدُّ موضوع الأخلاق من المواضيع التي أثارت اهتمام الباحثين قديما وحديثا، بل إنَّ اهتمامهم بها يمتد من الثقافة القديمة المتمثلة بالفلسفة اليونانية، إذ أبدى سقراط في فلسفته اهتماما بالإنسان وسلوكه، وأثار مشكلات كثيرة في المحيط الأخلاقي، ما زالت تشغل بال أهل الفكر حتى العصر الحاضر، فقد أراد بناء الأخلاق على العقل، ووضع أسسها على قواعد ثابتة، وألغى رد الأخلاقية إلى سلطة خارجية، فأطلق مقولته المشهورة: (الفضيلة علم، والرذيلة جهل). أمَّا القرآن فيمكن القول إنّه كتاب أخلاقي، يدعو إلى الفضيلة بكل معانيها، بعدما يقود الإنسان نفسه إلى المصدر الأوّل وهو الله سبحانه، ومن هذا المفهوم انطلقت من سورة من سور القرآن الكريم، وهي سورة الشمس؛ لإيضاح ما اكتنفته من مسار أخلاقي يدفع إلى بناء الإنسان كما أرادته القيم السماوية الجليلة، بعدما أوضحت له السبل التي توصله إلى المراتب العليا التي

اختارت أن يكون فيها، على أنّ البحث جاء في جزء من هذه السورة التي بلغ عدد آياتها خمس عشرة آية، فأخذ البحث الجزء الخاص في الأخلاق من هذه الآيات، وهي الآيات العشر منها.

لقد بيّن البحث أنَّ الله فطر الإنسان على الفطرة السليمة، (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) وهداه النجدين، فإما شاكرا وإما كفورا، ويتحقق الشكر بتزكية النفس، والابتعاد عن دسِّ خيرها وأعمالها الرفيعة؛ لأنَّ الغاية هو رفع قيمة الإنسان إلى المكانة التي كانت غاية خلقه، فاتضح من البحث أنّ الربا مثلا فيه زيادة مادّية واضحة تتمثل بزيادة المبلغ المعطى، لكنه من جهة أخرى يعدُّ منقصة معنوية؛ فهو يحط من قدر الإنسان وقيمته بما يرتكبه من معصية جاءت باستغلال جهود الآخرين من غير تعب أو بذل جهد يذكر. على حين تكون الزكاة خسارة مادّة؛ فهو تخريج للمال الزائد فينقص من مقداره، لكنّ القرآن أظهر أنّه ذو قيمة معنوية يُفلح بها الإنسان ويرتفع إلى مقام يراد له أن يكون فيه. وظهر ذلك من التأصيل للمعاني اللغوية التي جاء بها القرآن الكريم في هذا المعنى، على أنّ لم يكتف البحث برأي المفسرين سواء أكانوا المتقدمين أم المتأخرين أم المحدثين، إنما أخذ علم الأخلاق، وعلم النفس مجالا فيه؛ لما لهذين العلمين من أثر واضح لا يمكن تغافله في توضيح المراد من الآيات، وقد كان للمصادر الأجنبية إضافات طيبة تدعم ما يمكن أن يذهب إليه أهل التفسير والأخلاق.

سورة الشمس من السور المكية، وهي مائتان وسبعة وأربعون حرفا، وأربع وخمسون كلمة، وخمس عشرة آية[1].

إنَّ المسائل المرتبطة بعلم الأخلاق كثيرة جدا، وسنقف هنا على المسائل التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الشمس، وبعض الآيات الأخر المتعلقة بذلك؛ إذ تعدُّ سورة الشمس من أكثر السور التي تحدَّثت عن الأخلاق، فقد وضعت مجموعة من القواعد المرتبطة بعلم الأخلاق وفلسفته.

تقول سورة الشمس:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

وَالشَّمْسِ وَضُحاها (١) وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها (٢) وَالنَّهارِ إِذا جَلاَّها (٣) وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (٤) وَالسَّماءِ وَما بَناها (٥) وَالْأَرْضِ وَما طَحاها (٦) وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها (٧) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (٩) وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (١٠).

من الملحظ أنَّ السورة الكريمة قد بدأت بمجموعة من الآيات التي أقسم الله بها، فالواو في الآيات التي تبدأ من الآية الأولى حتى الآية الثامنة هي واو القسم، ومحل الشاهد في هذه السورة قوله تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها، وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)**، فمن الواضح في هذه السورة أنَّ

الله سبحانه قد أقسم بهذا المقدار من القسم؛ ليصل إلى هذه النتيجة، وهي: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها، وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها). والمضمون العام لهذه السورة ((أنَّ فلاح الإنسان أن يزكي نفسه وينمِّها، إنماءً صالحا، بتحليتها بالتقوى، وتطهيرها من الفجور، والخيبة والحرمان من السعادة لمن يدسّيها))[٢].

ويبدو أنَّ القرآن الكريم أراد أن يقول: إنَّ خلق الله للشمس، والقمر، والنهار، والليل، وكلُّ ما أقسم الله به جاء لأجل الإنسان، وأيّ إنسان؟ الإنسان الذي أفلح بتزكيّة نفسه، فالإنسان ثمرة عالم الإمكان، وهذه الحقيقة أكَّدها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، قال تعالى: **(وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ)** (إبراهيم/٣٣)، وقال سبحانه: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ) (النحل/١٢)، ولهذا عبّر الله سبحانه عن خلقه للإنسان بـ(خلقته بيديَّ)، قال تعالى: **(قالَ يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)** (ص/٧٥)، وهذا تشريف من الله للإنسان.

وما يلحظ في هذه السورة أنَّ جميع الآيات القرآنية التي تضمنت القسم الالهي قد جاءت محلّاة بـ(أل)، (الشمس، الليل، النهار ...) ما خلا كلمة (النفس)، إذ جاءت نكرة، فلم يقل القرآن (والنفس وما سوّاها)، إنّما قال: (ونفس وما سوّاها)، وقد ذكر المفسرون وجوها لهذا التنكير، فقد ذكر جملة منهم أنَّ التنكير في هذا الموضع جاء في سياق الإثبات، وهو بهذا يفيد الخصوص لا العموم[٣]، وهم بذلك يقصدون النفس الإنسانية، لا نفس كل المخلوقات[٤]، فمن المعلوم أنَّ النكرة عند النحاة هي كل اسم شائع في جنسه، لا يختص به واحد دون آخر، مثل رجل، كتاب، وفرس[٥]، أو أنّهم يريدون نفسا خاصة من بين النفوس، وهي نفس آدم، كأنه قال سبحانه: وواحدة من النفوس[٦]. ويرى آخرون أنَّها تفيد العموم لا الخصوص، والتقدير عندهم: (كلّ نفسٍ وما سوّاها)، فقد تفيد النكرة عندهم في سياق الإثبات العموم[٧].

وذهب السيد الطباطبائي إلى أنّه لا يبعد أن يكون التنكير للنفس هنا جاء لغرض تعظيمها، فقد يشير القرآن إلى أنَّ للنفس شأنا وعلوًا، على أنّ السيد الطباطبائي قد ردّ القول إنّ المقصود بها نفس آدم؛ لأنّ هذا القول لا يُلائم السياق، لا سيما لقوله تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)**[٨].

والحقّ أنَّ القول إنَّ تنكير النفس في هذا الموضع قد جاء لتعظيم شأنها أمر يؤيده القرآن الكريم؛ إذ جاءت النفس في القرآن الكريم موضوعة في قبال عالم الإمكان، قال تعالى: **(سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**(فصّلت/٥٣)، (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ)(الكهف/٥١)، ونجد أيضا أنَّ الروايات توكِّد على وجوب

معرفة النفس، فبها يُعرَف الله سبحانه، ومن هذه الأحاديث الشريفة: (من عرف نفسه عرف ربّه)[٩]، بل إنَّ المعرفة بالنفس أعظم من المعرفة بالآيات الآفاقية، **قال الإمام علي عليه السلام: (المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين)**[١٠]، والمراد بالعرفتين هنا المعرفة بالآيات النفسية، والمعرفة بالآيات الآفاقية، يدلك على ذلك قوله تعالى: **(سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)** (فُصّلت/٥٣). بعد هذا يتبين أنَّ تنكير النفس في الآية الكريمة جاء لبيان عظمتها، وضرورة معرفتها.

وما يلحظ في سورة الشمس أيضا أنَّه سبحانه وتعالى أقسم بـ(ما سَوَّاها)، وبمقتضى القاعدة النحوية أن يكون الضمير في هذه الآية عائدًا على (من)، لا (ما)، وبهذا الأمر اختلف المفسرون في توجيه ذلك، فمنهم من يرى أنَّ (ما) مصدرية، فَيَكُونَ تَأْوِيلُهُم: وَنَفْسٍ وَتَسْوِيَتِهَا، فَيَكُونَ الْقَسَمُ بِالنَّفْسِ وَبِتَسْوِيَتِهَا[١١]، وذهب الزجاج (٣١١هـ) إلى أنَّ (ما) ههنا هي بمعنى (مَنْ)، والمعنى: والسماء والذي بناها، ودليله على هذا أنَّ أهل الحجاز يقولون: **(سُبْحَانَ مَا سَبَّحْتُ لَهُ)**، أي سبحان الذي سبحت[١٢]. وقد رد الزمخشري معنى المصدريَّة؛ لأنّ ذلك يؤدى إلى فساد النظم في نظره، والوجه عنده أن تكون موصولة، وإنما أوثرت (ما) على (من) لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، ونفس، والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها [١٣].

ومن الجدير بالذكر أنَّ قوله تعالى: **(وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها)** هو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي يقسم الله فيه بالمخلوق ثمَّ بالخالق، ولعلَّ مردَّ ذلك لبيان قوّة الارتباط ودقّته بين الخالق والمخلوق وهو الإنسان، فقد أقسم الله بأشياء خلقها؛ لأجل هذه النفس؛ وخدمتها، قال تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ)**(الرعد/٣٢-٣٣).

ومن الواضح أنَّ كلَّ هذا القَسَم الذي جاء في الآية الكريمة الغاية منه الوصول إلى أمر واحد، وهو **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)**، وهذا الأمر موجود في الأعراف الاجتماعية أيضا، فالمرء إذا أراد أن يذكر مطلبًا، ويحاول أن يؤكد عليه ساق له مجموعة من الأقسام، فيقول: والله، وبالله، وتالله، ثمَّ يذكر الأمر المهم عنده، وهذا حال القرآن الكريم أيضا، فبهذه الأقسام إنّما يريد أن يبيِّن عظمة المقسم لأجله، ويريد أن يكشف أنَّه لا يوجد شيء أهم منه، ولهذا يمكن القول إنَّ أهم آية في القرآن تبيّن أهميّة الفلاح والتزكية هي قوله سبحانه **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)**.

وتُظهِر هذه الآية أيضا أنَّ الإنسان موجود مختار، وأنَّه قادر على تغيير ملكاته وسجاياه وأخلاقه، ولو لم يكن كذلك لما نسب الله الفلاح والخيبة والتزكية والتدسية إليه، وهذا الأمر له علاقة وثيقة بقواعد الأخلاق؛ إذ لو كان الإنسان موجودا غير مختار فلا قيمة تذكر للقواعد الأخلاقية، بل لسقط علم الأخلاق كلُّه.

ولعلَّ سائلا يسأل، إذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها)** التي تنسب الفلاح والتزكية للإنسان، وبين قوله: **(بَلِ اللَّـهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً)** التي تنسب التزكية لله سبحانه؟

نقول: إنَّ الحقيقة القرآنية أوضحت أنَّ جميع الأفعال والآثار والصفات التي قد تظهر في هذا العالم، ومن أيِّ جهة كانت، لا تقع بمعزل عن الله؛ لأنَّه خالق كلَّ شيء؛ وهو المؤثر الأوّل في الوجود، وهذا القول لا يُنافي نسبة فعل أو أثر لغير الله سبحانه، ولكن ليس على صفة الاستقلال بنفسه، فتكون هذه الآيات قد نسبت الفعل إلى الإنسان؛ حتى يُبطِل قول القائلين بالجبر، الذين **((يَزْعُمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا فَعَلَهُ الْعَبْدُ من مَعْصِيَةٍ أَوْ كُفْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ مُرِيدُهُ مِنْهُ))**[١٤]، ونسبت الفعل إلى الله حتى يُبطل قول القائلين بالتفويض، **((الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَقْتَضِي أَنْ يُؤْمِنَ الْكَافِرُ، وَأَنَّ مَا يَأْتِيهِ الْإِنْسَانُ مِنْ جَمِيعِ أَفْعَالِهِ لَا خَلْقَ لله فِيهِ))**[١٥]، أي: إنَّ الإنسان محتاج إلى الله وجودا، مستقلًا عنه بقاء، وهذه الآيات تدلُّ على أنَّ الأشياء محتاجة إلى الله وجودا وبقاء، وهذا ما يُطلق عليه بـ((توحيد الأفعال، وهو ألاَّ يرى الفعل إلا من الله))[١٦]، ولكن ليس من غير تأثير للإنسان فيها، وإلا لبطلت الجنّة والنار، إنّما تريد هذه الآيات أن تقول: **((وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ))**(التكوير/٢٩)، قال الآلوسي (١٢٧٠هـ) في قوله تعالى : **(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)**: ((يدل على نفي الاستقلال فيه – يعني فعل الإنسان – وأنَّه بإذن الله تعالى وإعانته))[١٧].

وهذا الأمر واضح في القرآن الكريم، فإذا أراد مثلا أن ينسب الموت نسبه إلى ملك الموت، فيقول: **(حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ)**(الأنعام/٦١)، ومن جهة أخرى ينسبه إلى الباري عزّ وجل، فيقول: **(اللَّـهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها)**(الزمر/٤٢). وهذا يدلّ على أنَّ كلَّ فعل لا يكون مستقلّا بنفسه، بعيدا عن الله سبحانه، فلا تعارض إذن بين الآيات.

من هنا يتَّضح أنَّ تزكية نفس الإنسان مشروطة برغبة الإنسان للتزكيّة، ولهذا قال تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها، وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)**، غير أنَّ هذه الرغبة غير كافية لتحقيق التزكية إلا أن يشاء الله، فبدون فعل الله لا تحصل التزكية للنفس، قال تعالى: **(وَلَوْلا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**

ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً)(النور/٢١)، والقاعدة القرآنية تقول:(**إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**)(الإنسان/٣).

والذي لا ريب فيه أنَّ النظرة القرآنية للأخلاق تختلف عن نظرة المصنفات الأخرى له، فالواقع البحثي يقول إنَّ هذه المصنفات تذكر لنا باختصار، أو بإفاضة، المبادئ الأخلاقية ونظرياتها، كما ارتأتها الوثنية الإغريقية مثلا، أو الأديان اليهودية والمسيحية[١٨]، فعلماء الأخلاق يؤكدون على جمال الفعل، وعلى مقاييس الفعل، وعلى سبل الأحكام على الأفعال الأخلاقية[١٩]، التي يرى بعضهم أنّها ناتجة عن التجارب الإنسان، فليس في الإنسان حاسّة غريزية يُدرك فيها الإنسان الخير والشر[٢٠]، فهي علوم توضح معنى الخير والشر، وتبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس وما لا ينبغي[٢١]، وتوجه المجتمعات لقواعد الأخلاق وقوانينه، ثمَّ الحكم لها أو عليها، بحسب مقاييس الخير التي وضعها[٢٢]، بل بعضهم سلك النهج الهندسي في دراسته للأخلاق، كما فعل (باروخ سبينوزا) في كتابه (علم الأخلاق).

أمّا القرآن الكريم فيؤكد على تزيُّن الفاعل بهذا الفعل الأخلاقي علاوة على جمال الفعل الأخلاقي، فالآية الكريمة (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها**) لم تقل إنَّ التزكية مهمة، بل قالت (زكّاها)، فجعل القرآن التزكية زينة للنفس، ويُظهر القرآن أهمية هذا الفعل من الفاعل، لا من الفعل نفسه فقط، فإذا عرّف لنا البرّ بقوله سبحانه:(وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)(البقرة/١٧٧)، نجده في موضع آخر يصف هذا الفعل من الفاعل، فيقول سبحانه: (**إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً**)(آل عمران/٥)، وقال :(إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ)(آل عمران/١٨)، و(إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ)(الانفطار/١٣)، فالقرآن يهتم بتجسيد الأخلاق، لا بمفهوم الأخلاف بالمعنى المجرد، فليس المهم عنده أن تعرف معنى البرِّ، أو معنى العفّة، أو معنى الكرم، إنّما المهم عنده أن تكون بارّا، عفيفا، كريما، فالإنسان يستطيع أن يقوم بتدريس علم الأخلاق لسنوات، لكنَّه قد لا يحمل صفات الأخلاق التي درّسها، ولكن هذا لا يعني أنَّ الإنسان لا يحتاج إلى العلم لتزكية نفسه، بل العلم من ضروريات الوصول إلى التزكية، بدليل قوله تعالى: (**رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)(البقرة/١٢٩)، فقدّم العلم على التزكيّة؛ لأنَّ العلم وسيلة للوصول إلى التزكية، لا غاية لها، لهذا نجد تقديم العلم على التزكية في هذا الموضع فقط، أمَّا التزكية فقد تقدمت على العلم في أكثر من موضع، قال سبحانه: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ**)(الجمعة٢)، وقال: (**كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ**) (البقرة/١٥١)، وهي إشارة إلى أنَّ التزكية هي

غاية العلم كلّه، وقال سبحانه: **(لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ)(آل عمران/١٦٤)**، وهذه إشارات تدلُّ على أنَّ التزكية هي غاية العلم، وأنّها لا تكون إلا بإرادة الله عزّ وجل كما تقدّم. وفي هذه الآيات إشارات أخر لا محل لذكرها هنا.

ولا بدَّ من القول إنَّ الله قد أعطى الإنسان الوسيلة التي تمكِّنه من العبور إلى تحقيق تزكية النفس، فقد ألهم النفس فجورها وتقواها، والإلهام بحسب ما يقول أهل اللغة هو شيء يلقى في الروع[٢٣]، والْفرق بَين الْمعرفَة الضرورية والإلهام هو ((أَن الإلهام مَا يَبْدُو فِي الْقلب من المعارف بطرِيق الْخَيْر ليفعل وبطريق الشَّرّ ليترك، والمعارف الضرورية على أَرْبَعَة أوجه، أَحدهمَا: يحدث عِنْد الْمُشَاهدَة. وَالثَّانِي: عندت التجربة. وَالثَّالِث: عِنْد الاخبار المتواترة. وَالرَّابِع: أَوَائِل الْعقل))[٢٤]، فقد عرّف الله الإنسان كون ما يأتي به من فعل، أفجور هو أم تقوى، وميَّز له ما هو فجور وما هو تقوى، وأضاف الفجور والتقوى إلى ضمير النفس؛ للإشارة إلى أنَّ الفجور والتقوى الملهمين هما الفجور والتقوى المختصين بهذه النفس المذكورة في القرآن، وهي النفس الإنسانية[٢٥]، فكما أنَّ الله خلق الإنسان بنحو يمكنه من تمييز الأمور، كامتناع اجتماع نقيضين مثلا، أو أنَّ الجزء أكبر من الكلّ، وهو بهذا لا يحتاج إلى دليل لإثباته، كذلك زوّد الله الإنسان بما يمكنه من معرفة ما هو شرٌ له، وما هو خير له.

وهنا لا بدَّ من سؤال: ما معنى النفس في القرآن الكريم؟

نقول: إنَّ القرآن الكريم إذا ذكر النفس أراد بها أحد المعاني الآتية[٢٦]:

١-**حقيقة الشيء:** فمعناه معنى ما أضيف إليه، فنفس الشيء معناه: الشيء، ونفس الإنسان معناه: الإنسان، فلا قيمة دلالية للنفس هنا إلا بما تضاف إليه. وهو بهذا المعنى يُطلق على الله، قال تعالى: **(وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّـهُ نَفْسَهُ)**(آل عمران/٢٨)، و**(كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)**(البقرة/١٢)، **(تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)**، وهذه الحقيقة قُيِّدت بـ**(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**. وبهذا المعنى أيضا يستعمل عند أهل اللغة لغرض التأكيد، كقولنا: جاءني زيدٌ نفسُهُ.

٢-**شخص الإنسان:** فالقرآن أذا ذكر كلمة (نفس) أراد منها الإنسان، وقد وردت آيات كثيرة بهذا المعنى، قال تعالى: (هو الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ)(الأعراف/١٨٩)، أي: من شخص إنساني واحد، وقال:(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)(المائدة/٣٢)، أي: من قتل إنسانا، ومن أحيا إنسانا، وقد اجتمع المعنيان في قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها)(النحل/١١١)، فالنفس الأولى بالمعنى الثاني، والنفس الثانية بالمعنى الأوّل.

٣-**الروح: قال تعالى: (وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ)**(الأنعام/٩٣)، أي: أرواحكم.

وقد اطّرد المعنى الثاني والثالث في الإنسان، فلا يُقال للواحد من النبات أو الحيوان عرفا (نفسا). يتّضح من هذا أنَّ القرآن الكريم أراد من كلمة (النفس) هذه المعاني، ومن السياق نستدل على المعنى المراد، ومن الواضح أنَّ القرآن أراد المعنى الثاني من قوله تعالى (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها)، أي: الإنسان، فما المراد بالتسوية هنا؟

بعدما تبيَّن أنَّ النفس في هذه الآية يُراد منها الشخص الإنساني، يتّضح أنّها إشارة إلى قوله تعالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)**(التين/٤)، فهذه هي التسوية التي ذُكِرت في سورة الشمس، ((ومعنى كونه أحسن قوام بحسب الخلقة على ما يستفاد من قوله بعد: **(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ)**(التين/٥) صلوحه بحسب الخلقة؛ للعروج إلى الرفيق الأعلى؛ والفوز بحياة خالدة عند ربّه، سعيدة لا شقوة فيها، وذلك بما جهَّزه الله به من العلم النافع، ومكّنه منه من العمل الصالح، قال تعالى: **(وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها)**، فإذا آمن بما علم، وزاول صالح العمل رفعه الله إليه، كما قال:**(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)** (فاطر/١٠)))[٢٧]. فإذا تبيّن ذلك اتّضح أنَّ التسوية، وأحسن تقويم هما ما ذكرته الآية الكريمة: **(فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها)**، أي: أنَّ الله مكّن الإنسان بقوة يستطيع بها أن يميّز الفجور من التقوى، فكان الإنسان بذلك أحسن مخلوق. وعلى ذلك يمكن القول: إذا كان الإنسان أحسنَ مخلوق فلا بدَّ أن يكون مَن خلقه أحسن خالق، قال تعالى: **(فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ)** (المؤمنين/١٤).

وما يلحظ أنَّ القرآن لم يعبّر عن الفجور والتقوى بألفاظ أخر، كالشر، والخير، والقبح، والحسن، وغيرها من المصطلحات الأخلاقيَّة التي استعملها علماء الأخلاق، إنّما استعمل مصطلحي (الفجور، والتقوى). وقبل بيان علّة ذلك لا بدّ من بيان معنى (الفجور، والتقوى)، حتى يتّضح سبب اختيارهما دون غيرهما من المصطلحات الأخلاقية.

جاء في تهذيب اللغة: ((والفَجْرُ أصلهُ الشَّقّ، وَمِنْه أُخِذَ فجرُ السِّكْر، وَهُوَ بَثْقُه. وسُمِّيَ الفَجْر فجراً لانفِجَارِه، وَهُوَ انْصِداعُ الظُّلْمة عَن نور الصُّبْح))[٢٨]، أمَّا التقوى فجاء في المفردات في غريب القرآن أنَّ **((الوِقَايَةُ حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه))**[٢٩]، فيتَّضح من هذا أنَّ الفجور هو شقُّ الشيء، وأنَّ التقوى هي حفَظ الشيء، وكأنَّ القرآن يريد أن يقول: يا أيّها الإنسان قد أودع الله فيك شيئًا، وهو الفطرة السليمة، قال تعالى: **(فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها)**(الروم/٣٠)، وإنَّ بعض الأعمال تؤدي إلى تمزيق هذا الشيء، وبعضها تحفظه، والتعبير بغير هذين المصطلحين (الفجور، والتقوى) لا يحقق المعنى المطلوب من الآية؛ فالقرآن يريد من الإنسان أن يقي الفطرة السليمة ويحفظها، وقد بيّن القرآن المواطن التي يجب على الإنسان أن يتَّقيها، قال

تعالى: **(فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ)**(البقرة/٢٤)، وقال:**(وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)**(البقرة/٢٨١)، وقال: (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ)(آل عمران/١٠٢)، فهذه الآيات تبيِّن أنَّ الإنسان يجب أن يقي نفسه من الله، ومعنى ذلك أنَّ الإنسان إذا ما قام بفجور فإنّه يترتب عليه أثر من الله، فيكون معنى أن تتّقي الله هو أن تتقي الأثر الذي رتَّبه الله سبحانه على الفجور.

وما يلحظ في سورة الشمس أنَّ القرآن لم يقل (قَدْ خاب مَنْ فجر، وَقَدْ أفلح مَنْ اتقى)، بل قال(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها): فمقتضى التسلسل يجب أن تطابق الآية اللاحقة الآية السابقة لها بالألفاظ؛ إذ قال سبحانه قبل هذه الآية: **(فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها)**، فاختلفت الألفاظ، فلم حصل ذلك؟

لقد ذكرنا سابقا أنَّ لفظتي (الفجور، والتقوى) يحققان المراد من المعنى، ولا يكون ذلك في ألفاظ الأخلاق الأخر، وهنا أيضا لا يتحقق المعنى المطلوب لو قال:(قَدْ خاب مَنْ فجر، وَقَدْ أفلح مَنْ اتقى)؛ لأنَّ الآية تريد أن تذكر أنَّ بعض الأعمال تنمي النفس الإنسانية، وبعضها تُنقصها، وهذا واضح من المعنى اللغويِّ لكلمتي (التزكية، والتدسية)، فحَقِيقَة الزّكاة الزّيادة، وزَكَاة المَال تطهيره، وَالزَّكَاة الصّلاح، تَقول: رجل تقيٌّ زَكيّ، وَرِجَال أتقياء أزْكياء، وَالزَّرْع يزكو زَكاءً، وكل شَيْء يزِيد وينمو فَهُوَ يزكو زكاء[٣٠]، يتّضح أنَّ معنى النمو للزكاة لا يراد منه مطلق النمو، إنّما نمو مع صلاح وطهارة، قال السيد الطباطبائي: **((والزكاة نمو النبات نموا صالحا ذا بركة، والتزكية إنماؤه كذلك))**[٣١].

والحقيقة الظاهرة للزكاة هي النقيصة لا الزيادة؛ لأنّ الإنسان يعطي من ماله، فهي كالصدقة، التي هي خلاف الربا الذي في حقيقته الظاهرة زيادة لا نقيصة، لكنَّ القرآن يقول: **(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ)**، ففي ظاهر الصدقة النقيصة، ولكنَّ في حقيقتها زيادة ونمو، وفي ظاهر الربا الزيادة، ولكن في حقيقته نقيصة، وهذا حال الزكاة أيضا، من هذا يتّضح أنَّ القرآن يريد أن يقول: مَنْ أراد الزيادة المعنوية عليه بالنقيصة الظاهرية، فالتزكية هي التطهر من ألواث التعلقات الدنيوية الصارفة عن الآخرة، والإنفاق في سبيل الله تطهر من لوث التعلق المالي، حتى أنَّ الوضوء للصلاة تمثيل عمّا كسبته الوجوه، والأيدي، والأقدام[٣٢]، فأنت إذا أردت مرتبة علمية مثلا عليك أن تُنقص من راحتك ومالك وأمور أخرى، وإذا أردت أن تصل إلى بعض المقامات المعنوية فإنَّ نقص الراحة، والطعام، والنوم يوصل إلى هذه المقامات، وعن الرسول الأعظم (صل الله عليه وسلّم) أنّه قال: **(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)**، والسجن في طبيعته خال من كلِّ الإمكانات المادّية، فالسجين يعيش في حياة كلّها نقص. فيتَّضح من هذا الكلام أنَّ هناك ملازمة بين النمو المعنوي والنقص المادّي، وهذا المعنى يظهر في لفظتي

التزكية والتدسية التي هي إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإخفاء، فهي إنماء أيضا، ولكن على غير ما يقتضيه طبعها[٣٣]، فكأنَّ القرآن يريد أن يقول: إنَّ بعض الأعمال تنمّي النفس، وبعضها تدسّها، أي: تخفيها، فلا يعلو شأنُها، ولهذا اختار القرآن هاتين اللفظتين من دون الألفاظ الأخلاقية الأخرى.

على أنَّ القرآن قد قدَّم الفجور على التقوى، فقال: **(فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها)**، ولم يقل: **(فَأَلْهَمَها تَقْواها وَفُجُورَها)**، وقدَّم أيضا التزكية على التدسية، فقال: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)، والتقديم كما يقول الجرجاني (٤٧١هـ): ((هو باب كثير الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويُفْضي بك إلى لَطيفة؛ ولا تَزال تَرى شعراً يَروقُك مَسْمَعُه، ويَلْطُف لديكَ مَوقِعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سبَبَ أَنّ راقَكَ ولطُفَ عندك، أنْ قُدِّمَ فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان))[٣٤]، فلا جرم أنَّ تقديم الفجور على التقوى، والتزكية على التدسية لها غايات دلالية لشيء ما.

ولبيان سبب التقديم هذا نقول: على الرغم من أنَّ القرآن أوضح في أكثر من موضع أنَّ كلَّ ما خلق الله هو لخدمة الإنسان، كونه خليفته في الأرض، قال تعالى: **(إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)**(البقرة/٣٠)، بل الله جعل الإنسان مسجود الملائكة، فقال سبحانه: **(وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا)(البقرة/٣٤)**، إلا أنَّ القرآن في كثير من المواضع ذمَ الإنسان أيضا، بل نكاد لا نجد في القرآن شيئا يصل ذمَّه إلى هذا الحد غير الإنسان، قال تعالى: (وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً)(النساء/٢٨)، وقال: **(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ)(هود/٩)**، وقال: **(وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً)(الإسراء/١١)**، وقال: **(وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً)(الإسراء/١٧)**، وكلُّ ذلك راجع إلى طبيعة الإنسان الأرضية، لا الالهية، إذ الإنسان موجود من فطرة الهية وطبيعة أرضية، وهذا ما أكّد عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: **(فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)(الروم/٣٠)**، فقد نُصبت كلمة (فطرة)؛ لأنّها على تقدير (اتَّبع فطرة الله)[٣٥]، إنما يستقيم الإنسان في عمله إذا استقام في تقواه ودينه الفطري[٣٦]، ويمكن ملاحظة الفطرة السليمة في قوله تعالى: **(وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصادِقُونَ)(النمل/٤٨-٤٩)**، قال الزمخشري (٥٣٨هـ): ((فإن قلت: كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا، فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه ؟ قلت كأنَّهم اعتقدوا أنَّهم إذا بيَّتوا صالحا، وبيَّتوا أهله، فجمعوا بين البياتين، ثم قال: ما شهدنا مهلك أهله، فذكروا أحدهما: كانوا

صادقين؛ لأنَّهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما، وفي هذا دليل قاطع على أنَّ الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه، ولا يخطر ببالهم. ألا ترى أنَّهم قصدوا قتل نبيِّ الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين، حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتصفون بها عن الكذب))[٣٧]، فمرتكز الشريعة السماويّة ومعينها الذي تستقي سلطانها منه هو الإلهام الداخلي المركز في النفس الإنسانية قبل أن يكون شرعة سماوية؛ وبأن الفضيلة – في نهاية المطاف– إنما تتخذ مرقاتها من طبيعتها الخاصة، ومن قيمتها الذاتية[٣٨].

أمّا ما يصيب الإنسان من فساد فسببه انحرافه عن هذه الفطرة، قال تعالى: **(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)(البقرة/١٣٠)**، أي: لا يترك مقتضيات الفطرة إلا من فسد عقله، فسلك غير سبيله[٣٩]، ولهذا أطلقت العرب على الفاسق فاسقا؛ **((فالفِسْق أَصله من قَوْلهم: انفسقتِ الرُّطَبَة، إِذا خرجت من قشرها، وَمِنْه اشتقاق الْفَاسِق؛ لانفساقه من الْخَيْر))**[٤٠]. فهكذا هي الفطرة لدى الإنسان، فإذا صَلُحت وبقيت على نشأتها من دون تزييف ولا تلوث فإنَّ الإنسان سيصلح منه ظاهره وباطنه[٤١]، قال تعالى: **(إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ)(الحجر/٤٢)**، فلا حجّية إذن للذين يزعمون أنَّ الإنسان مجبر في أخلاقه؛ وأنَّها متأثرة بشيئين: الوراثة والبيئة، وأنّك إذا أردت إصلاحه فاصلح البيئة التي يعيش فيها[٤٢]، فهذا القول لا يعني أن يفقد الإنسان الإرادة، والدليل على ذلك ما نشعر فيه من حرّية الاختيار، وقدرتنا على عمل الشيء أو تجنبه، ولو لم يكن للإنسان حرّية الاختيار للخير أو الشر لما أشارت الآيتان إلى فلاح من يزكي، وخيبة من يدسّها[٤٣]، وقد أشار الآلوسي (١٢٧٠هـ) إلى ذلك فقال: ((جعل فيه العبد فاعل التزكية بالتقوى والتدسية بالفجور؛ لأنَّ الإسناد يقتضي قيام المسند، ويكفي فيه المدخلية المذكورة، ولا يتوقف صحة الإسناد حقيقة إلى العبد على كون فعله الإيجاد، فالاستدلال بهذا الإسناد على كونه متمكنا من اختيار ما شاء من الفجور والتقوى وإيجاده إياه بقدرة مستقلة فيه على خلاف ما يقوله الجماعة ليس بشيء))[٤٤]، فالإنسان قادر على تغيير خلقه، كيف لا وأنت ترى أنَّ الحيوان نفسه قادر على تغيير خلقه، قل الغزالي(٥٠٥هـ): ((وَكَيْفَ يُنْكَرُ هَذَا فِي حَقِّ الْآدَمِيِّ وَتَغْيِيرُ خُلُقِ الْبَهِيمَةِ مُمْكِنٌ، إِذْ يُنْقَلُ الْبَازِي مِنَ الِاسْتِيحَاشِ إِلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، وَالْفَرَسُ مِنَ الْجِمَاحِ إِلَى السَّلَاسَةِ وَالِانْقِيَادِ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَغْيِيرٌ لِلْأَخْلَاقِ))[٤٥]. فإذا تبيَّن هذا عرفنا سبب تقديم القرآن التزكية على التدسية، إذ يتَّضح أنَّ الغاية من خلق الإنسان هي التزكية لا التدسية.

وهنا مسألة أخرى يجب بحثها، تتمثل بالسؤال الآتي: هل الأخلاق الإنسانية ثابتة أو متغيرة؟ وهل تختلف من مكان إلى آخر، ومن زمن إلى آخر؟

يذهب كثير من الباحثين إلى أنَّ الأخلاق تختلف من مكان إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، وهي تتغير تبعا لذلك[٤٦]، قال مونتاني (الفيلسوف والأخلاقي الفرنسي ١٥٣٣م-١٥٩٢م): ((لا يوجد شيء أكثر اختلافًا بين أمم العالم بأسرها كالعادات والقوانين، كثيرًا ما يكون أمر ممقوت هنا وممدوح بل موصًى به هناك؛ ففي (إسبارطة) مثلا كانوا يمتدحون المهارة في الغش ويتواصون بها، وقتل الآباء المعمَّرين، والتجارة بالمسروقات، والزواج بين الأقارب، كل ذلك وهو محرم بيننا بصفة عامة، مأمور به عند آخرين .وأخيرًا لا يوجد أمر غير مرضي هنا إلا ويكون مرضيًا عند أمة أخرى))[٤٧].

والحقيقة، إن التاريخ وعلم الاجتماع يؤكدان أنَّ القواعد الأخلاقية اختلفت باختلاف الأزمنة، واختلفت وتختلف في العصر الواحد بحسب البيئات، فمسألة الرق والاستعباد كانا نظامًا معروفًا لدى العبرانيين والمصريين القدماء والهنود والصين على اختلافهم في معاملة الأرقاء، وكانت الجمعية الإنسانية في المدنية الإغريقية القديمة التي يفخر بها الأوروبيون اليوم — تقوم على استرقاق فريق من المواطنين، حتى إن أرسطو بجلالة قدره يبرره لاعتبارات مختلفة، منها : أنَّه لا بد من العبيد ليتوفر الرجال الأحرار على الدراسات العقلية العالية، وأنَّه يوجد أناس بلغوا من السفالة والضعة أن يفهموا أنَّهم خُلقوا للاستعباد، ولم تمنعه الديانة المسيحية أيضًا، أمَّا في أيامنا هذه فقد صار الرق من أشنع المظالم الإنسانية، وغدا محرمًا تحريمًا باتًّا. وأنَّ أنظار الأمم بالنسبة للمرأة اختلفت في التاريخ أيما اختلاف، فقد كان الأثينيون- وهم من نعلم مدنيتهم وحضارتهم في الأزمان الماضية- يعدون المرأة سلعة تُباع وتُشترى، وجعلوا مهمتها في الحياة مقصورة على تربية الأطفال وتنظيم البيوت، وأباح بعض الطوائف اليهودية للأب بيع بنته وهي قاصرة، وفي فرنسا قديمًا بلغ من امتهان المرأة أن عقدوا مؤتمرًا سنة ٥٨٦ م في بعض الولايات فأخذوا يبحثون فيه إذا ما كانت المرأة تعد إنسانًا أو غير إنسان، وانتهى الأمر بتقرير أنَّها إنسان، ولكنها خُلقت لتخدم الرجل ليس غير، ولا ننسى ما كان من وأد بعض عرب الجاهلية بناتهم، ومن اعتبار المرأة بعض ما يورث عن أبيها أو زوجها. والآن تغيَّر ذلك كله[٤٨]، فهل وافق القرآن هذه التغيرات الأخلاقية واختلافاتها؟

نقول: إذا وافق القرآن ذلك كلَّه فلا حاجة إذن لقوله تعالى **(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)**؛ لأنَّ الفجور في زمان ما وفي مكان ما يكون تقوى، وليس كذلك في زمان أو في مكان آخرين، وكذلك أمر التقوى. والواضح من الآية أنَّها تريد أن تقول إنَّ الفجور والتقوى ثابتان في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان، ودليل هذا قوله تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)(الروم/٣٠)**، فحكمة الله أن لا تتبدل فطرة الله؛ فهي سنَّة إلهية، والسنن

الإلهية لا تبديل لها، **(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّـهِ تَبْدِيلاً)**(الأحزاب/٦٢)، **(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّـهِ تَحْوِيلاً)**(فاطر/٤٣)، فهذه الآيات توضّح أنَّ الفجور والتقوى ثابتة لا تتغير، والمقصود بذلك المسائل الأخلاقيّة؛ لأنّها من حاجات النفس، وحاجات النفس ثابتة لا تتغيّر، فما يتغير هو ما يربط الإنسان بالطبيعة، كالأكل، والشرب، والملبس، والمسكن، أمَّا العبادات والأخلاقيات فتمثل علاقة الإنسان بربّه لا بالطبيعة، لهذا فهي ثابتة لا تتغير، وتعد حاجة الإنسان إلى الارتباط بموجود مطلق لا متناهي، حياة وقدرة وعلما[٤٩]، ولكن هل يمكن للإنسان أن يحدد مصداق هذه الحاجة؟

الحقيقة تقول إنَّ العقل الإنساني لا يستطيع أن يميّز مصداق هذه الحاجة، أو يحدد أبعاد الفطرة التي يجب عليه أن ينمّيها بالأعمال السليمة الصحيحة، وهنا كان أثر الرسل والأنبياء في إنزال الشريعة، إذ كشفت للإنسان عمّا يجب أن ينمّي به الفطرة السليمة، فيأخذ منه، ويلتزم به، ويبتعد عمّا يدسّها، فيُجازى على هذا وعلى ذاك، فهذه العلاقة – علاقة العبد بربه وإشباع حاجاته الروحية– لا تنكشف بالتجربة، إنّما بالرسل والأنبياء.

وهنا لا بدّ من ذكر المسالك التي تنوعت بتنوع الغاية التي يريد الإنسان الوصول إليها، فقد ذكر السيد الطباطبائي ثلاثة مسالك في هذا الغرض[٥٠]:

المسلك الأوّل: هو أن يجعل الإنسان له غايات دنيوية، كالعفّة والقناعة والعلم وغيرها، وهذا المسلك لا يُشترط فيه الإيمان بالله، ولا باليوم الآخر، فهي ليست التزكية التي يدعو إليها القرآن الكريم؛ لأنّها خالية من النيّة في القربى لله تعالى؛ إذ لا تصب في الهدف الذي خُلق الإنسان لأجله، فصلاة الحسين عليه السلام تضارع صلاة عبيد الله بن زياد من الشكل الخارجي لهما، لكنَّهما يختلفان في الغاية، وهذا الأمر ينسحب على الخوارج أيضا الذين قال عنهم أمير المؤمنين: (هؤلاء طلبوا الحقَّ فأخطؤوه)[٥١]، فالقرآن لا ينظر إلى جسد الفعل، إنمّا ينظر إلى روح الفعل، فإن كان لله كان تزكية للنفس، فالعمل بلا نيّة خاصة لله كجسد بلا روح، وهو ما يُطلق عليه (بالرِّياء).

المسلك الثاني: وهذا يهذِّب النفس ويُزكيها؛ إذ إنّه مبني على غايات آخرويَّة، غايتها الخوف من النار، والطمع في الجنَّة، قال تعالى: **(إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)**(التوبة/١١١)، وقال:**(إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ)**(الزمر/١٠)، غير أنَّ هذا المسلك قد لا يُقصد فيه وجه الله؛ لأنَّ الله هنا وسيلة للوصول إلى الغاية، وليس الغاية نفسها؛ ولهذا جعله السيد الطباطبائي نوع من الشرك؛ لأنَّ الإنسان إنّما ((يعبد الله طمعًا في جنته، أو خوفًا من ناره، فإنَّ ذلك كلَّه من الشرك في العبادة الذي ورد عنه النهي، قال تعالى:**(فَاعْبُدِ اللَّـهَ**

مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)(الزمر/٢)))[٥٢]، ويبدو أنَّ قول السيد الطباطبائي هذا يعدُّ تفسيرا لقوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)(يوسف/١٠٦)، وعن الإمام علي أنَّه قال: ((**إنَّ قومًا عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنَّ قومًا عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنَّ قوما عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار**))[٥٣].

وهذا الأمر، وأقصد به ما أُطلِق عليه بـ(بالشرك الخفي) واضح جليٌّ في القرآن الكريم، إذ ذكرت آيات كثيرة أنَّ الإنسان يجعل مع الله أسبابا أخر يرجو منها كما يرجو من الله، على الرغم من إيمانه بالله تعالى، وهذا بيِّن في سياق الدعاء، قال تعالى: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**) (البقرة/١٨٦)، فهذا القيد، وهو قوله سبحانه:(إِذَا دَعَانِ) يدلُّ على اشتراط الحقيقة دون التجوّز والشبه، ففي قولك: (اصغِ إلى قول الناصح إذا نصحك، أو أكرم العالم إذا كان عالما) يقتضي اتصاف كلِّ واحد منهم بحقيقة ما اتُّصف به، فالناصح إذا قصد النصح حقيقة يجب الإصغاء إليه، والعالم إذا اتّصف بالعلم حقيقة يجب إكرامه، فوعد الإجابة المطلقة تكون إذا كان الداعي مواطئا لسانه قلبه، لا ان يسأل الله حاجة وقلبه متعلق بالأسباب المادية، أو بأمور وهمية، فلم يخلص الدعاء لله سبحانه، فلم يسأل الله حقيقة، فهو بهذا أشرك الأسباب والأوهام مع الله؛ لأنّه لم يُخلص الله بقلبه وإن أخلصه بلسانه، ودليل هذا أنّ القرآن وصف هذه الحالة بالشرك، قال تعالى: (**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ**)(الأنعام/٦٣-٦٤)، فالآيتان تدلان على أنَّ للإنسان دعاء غريزيا، وسؤالا فطريا يسأل به ربّه، غير أنّه إذا كان في رخاء ورفاه تعلّقت نفسه بالأسباب، فأشركها لربّه[٥٤].

ويمكن القول إنَّ هذين المسلكين يشتركان في أنَّ الغاية من العمل هي الفضيلة الإنسانية.

المسلك الثالث: أنَّ الغاية من العمل هو ابتغاء مرضاة الله، لا اقتناء الفضيلة الإنسانية فقط، ويتكئ هذا المسلك على أساس المعرفة بالله تعالى، والتوحيد الخالص له، فالعبد فيه إذا أخذ إيمانه في الاشتداد والازدياد انجذبت نفسه إلى التفكير بربِّه، واستحضار أسمائه الحسنى وصفاته، ولا تزال نفسه تنجذب إلى الله وتترقَّى حتى صار يعبده كأنَّه يراه، ولا يزال يتّقد هذا الحب حتى ينقطع إلى الله سبحانه، فقد استولى سلطان الحبِّ على قلبه، قال الإمام علي (عليه السلام): ((ما **عبدتك طمعا في جنتك، ولا خوفا من نارك، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك**))[٥٥]، ولمثل هذا مصداق في حياتنا، وهو إنك إذا أحببت أبناءك تعمل لأجلهم بكل ما

أوتيت من قوّة؛ لغرض إسعادهم، وأنت من كلِّ ذلك لا تريد منهم جزاء ولا شكورا، ولا تخاف منهم عقابا، ولكنَّ تضحياتك لهم ناتجة من علمك أنَّهم أولادك، ولو علمت أنّهم ليسوا كذلك لما فعلت كلّ ذلك، وكذلك يفعل بعض الأبناء، فإنّهم يعملون على إرضاء آبائهم لا خوفا منهم، ولا طمعا؛ بل لكونهم آباء لهم، قال تعالى: (فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً)(البقر/٢٠٠). ويتبيّن أنَّ هذا المسلك يرتفع فيه موضوع الرذيلة والفضيلة، وتتبدل فيه الغاية؛ فالمطلوب فيه وجه الله، وربّما اختلفت نظر هذا المسلك مع غيره، فصار ما هو معدود في غيره فضيلة رذيلة فيه، وبالعكس.

وهنا قد يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي:

كيف يكون الإخلاص وريث حبّ الله سبحانه، والقرآن مملوء بوجوب حبِّ الأنبياء والأوصياء، قال تعالى: **(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)(المائدة/٥٥)؟**

نقول: إنَّ فرقا ظاهرا بين أن تحب شيئا في قبال الله، وأن تحب شيئا هو أثر من آثار الله، مثال هذا: أنّك إذا أحببت إنسانًا، ورأيت صورة ذلك الإنسان فإنَّك تحب صورته؛ لأنّها أثر دال عليه، فهي آية أو علامة له، لا من قبيل الاستقلال عنه، فحب الأنبياء والرسل والأوصياء مبعثه أنَّهم أثر من آثار الله، وليس لأنّهم جزء مستقل عن الله، ولو كان كذلك لكان مصداقا من مصاديق الشرك بالله تعالى.

نتائج البحث:

١-بيَّنت السورة أنَّ خلق الله للشمس، والقمر، والنهار، والليل، وكلُّ ما أقسم الله به جاء لأجل الإنسان.

٢-أظهرت الدراسة تعظيم الله سبحانه للنفس الإنسانية، إذ جعلها القرآن الكريم في قبال عالم الإمكان، بل إنَّ المعرفة بالنفس أعظم من المعرفة بالآيات الآفاقية.

٣-تبيّن أنَّ الإنسان موجود مختار، وأنَّه قادر على تغيير ملكاته وسجاياه وأخلاقه

٤-أكّدت الدراسة أن لا تناقض بين اختيار الإنسان لأفعاله وبين ردّ جميع الأمور إلى الله سبحانه؛ فالإنسان ليس موجودا مستقلا عن الله.

٥- بيّنت الدراسة أنَّ النظرة القرآنية للأخلاق تختلف عن نظرة المصنفات الأخرى له، فعلماء الأخلاق يؤكدون على جمال الفعل، وعلى مقاييس الفعل، وعلى سبل الأحكام على الأفعال الأخلاقية، أمّا القرآن الكريم فيؤكد على تزيُّن الفاعل بهذا الفعل الأخلاقي علاوة على جمال الفعل الأخلاقي.

٦-أظهرت الدراسة أنَّ التعبير بمصطلحي (الفجور، والتقوى) في السورة الكريمة يحقق المعنى الأخلاقي المطلوب من الآية، وأنَّ استعمال غيرهما لا يأتي بذلك المعنى.

٧-أوضحت الدراسة أنّ المسالك الأخلاقية ثلاثة، مسلك دنيوي، لا يُطلب في وجه الله، ومسلك يُطلب فيه وجه الله؛ لطمع في جنة، أو خوف من نار، ومسلك يُطلب فيه وجه الله خال من طمع في جنة، أو خوف من نار، وإنما عُبد الله؛ لأنّه أهل للعبادة.

٨-بين البحث أنّ التوسل بالأنبياء وبالأوصياء وبالأولياء والاستعانة بهم أمر جائز؛ لكونهم أثر من آثار الله سبحانه لا على سبيل الاستقلال.

الهوامش

[١] – الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٢١٢/١٠

[٢] – الميزان في تفسير القرآن: ٣٣٦/٢٠

[٣] – ينظر:الكشاف:٤٠/٤، والجامع لأحكام القرآن:١٣٧/١٠،البحر المحيط:٢٣٠/١

[٤] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣٣٨/٣٠

[٥] – ينظر: دراسات في علوم القرآن:٤٣٨

[٦] – ينظر الكشاف:٧٥٩/٤

[٧] – ينظر: فتح القدير:٢١١/٣

[٨] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣٣٨/٣٠

[٩] – عيون الحكم والمواعظ:٤٣٠، وميزان الحكمة:١٨٧٨/٣

[١٠] – ميزان الحكمة:١٨٧٨/٣

[١١] – ينظر: جامع البيان:٤٤٠/٢٤

[١٢] – ينظر: معاني القرآن وإعرابه:٣٣٢/٥

[١٣] – ينظر:الكشاف:٧٥٣/٤

[١٤] – أحكام القرآن للجصاص:٢٧٧- ٢٧٨

[١٥] – المحرر الوجيز:٢٨٨/٢، وينظر: البحر المحيط ٤٩٤/٤

[١٦] – البحر المديد في تفسير القرآن:٤٥٤/٣

[١٧] – روح المعاني:٩٠/١

[١٨] – ينظر: دستور الأخلاق في القرآن الكريم:٢/١

[١٩] – ينظر: إصلاح النفس:٢٥٣-٢٥٧

[٢٠] – ينظر: كتاب الأخلاق:٢٧

[٢١] – ينظر: كتاب الاخلاق:٩، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:٢٨

[٢٢] – ينظر: مباحث في فلسفة الأخلاق:٩

[٢٣] – ينظر: مجمل اللغة:٧٩١/١

[٢٤] – الفروق اللغوية:٨٣

[٢٥] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣٣٨/٢٠-٣٣٩

[٢٦] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٢٨٦/١٧

[٢٧] – الميزان في تفسير القرآن:٣٦٥/٣٠

[٢٨]– تهذيب اللغة:٣٦/١١
[٢٩] – المفردات في غريب القرآن:
[٣٠] – المخصص:٥٨/٤
[٣١] – الميزان في تفسير القرآن:٣٣٩/٣٠
[٣٢] –ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣٠٣/٣٠
[٣٣] – الميزان في تفسير القرآن:٣٣٩/٣٠
[٣٤] – دلائل الإعجاز:١٣٤
[٣٥] – ينظر: إعراب القرآن للنحاس:١٨٥/٣
[٣٦] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣١١/٥
[٣٧] – الكشاف:٣٧٣/٣
[٣٨] – ينظر: دستور الأخلاق في القرآن الكريم:١٦
[٣٩] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣١١/٥
[٤٠] – جمهرة اللغة:٨٤٧/٢
[٤١] – ينظر: إصلاح النفس:١٥
[٤٢] – ينظر: كتاب الأخلاق:١٢
[٤٣] ٠ ينظر: إصلاح النفس:٤١
[٤٤] – روح المعاني:٣٦١/١٥
[٤٥] – إحياء علوم الدين:٥٦/٣
[٤٦] – ينظر: كتاب الأخلاق:١٦–١٧
[٤٧] – مباحث في فلسفة الأخلاق:٢٢
[٤٨] – ينظر: مباحث في علم الأخلاق:٢٣–٢٤
[٤٩] – ينظر: الفتاوى الواضحة: ٧٥١
[٥٠] – الميزان في تفسير القرآن:ج٣٦٩/٢
[٥١] – نهج البلاغة:١٨١/١
[٥٢] – الميزان في تفسير القرآن:٢٩/١
[٥٣] – نهج البلاغة:٢٣٧
[٥٤] – الميزان فى تفسير القرآن:٣٣–٣٤–٣٥
[٥٥] – شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٥ / ٣٦١

المصادر:

١–القرآن الكريم.
٢–الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م
٣–الميزان في تفسير القرآن: للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٧
٤–الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
٥–دراسات في علوم القرآن، : محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)،الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م

٦-فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ،الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
٧-عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي: تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث الناشر: دار الحديث.
٨-ميزان الحكمة: محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ
٩-جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
١٠-معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)،المحقق: عبد الجليل عبده: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
١١-أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)،المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ
١٢-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
١٣-البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)المحقق: صدقي محمد جميل: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ
١٤-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)،المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ
١٥-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)،المحقق: علي عبد الباري عطية: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
١٦-دستور الأخلاق في القرآن: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧: مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م
١٧-إصلاح النفس: المرجع الديني السيد كمال الحيدري، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة.
١٨-كتاب الأخلاق: محمد أمين: مؤسسة هنداوي، ٢٠١١م.
١٩-تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: أحمد بن محمد بن مسكوية، المطبعة الحسنية،١٩٥٤م.
٢٠-مباحث في فلسفة الأخلاق: محمد يوسف موسى: هنداوي.
٢١-مجمل اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م
٢٢-الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر
٢٣-تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م
٢٤-المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)،المحقق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
٢٥-المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٢٦-دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)،المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م
٢٧-الفتاوى الواضحة وفقا لمذهب أهل البيت: سماحة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر: تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، الطبعة الاولى/١٤٢٢هـ

Sources:

1-The Holy Quran.
2- Disclosure and Explanation of the Interpretation of the Qur'an: Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim Al-Thalabi, Abu Ishaq (deceased: 427 AH), investigation: Imam Abi Muhammad bin Ashour, review and audit: Professor Nazir Al-Saadi: Arab Heritage Revival House, Beirut - Lebanon, Edition: First 1422, AH - 2002 AD
3- The Balance in the Interpretation of the Qur'an: by the scholar, Sayyid Muhammad Hussain Al-Tabatabai, Al-Alamy Publications Institution, Beirut / Lebanon. First edition 1417 AH - 1997
4- The Scout for the Realities of the Mysteries of Downloading: Abu Al-Qasim Mahmoud Bin Amr Bin Ahmed, Al-Zamakhshari Jarallah (deceased: 538 AH), Publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, Edition: Third - 1407 AH
5-Studies in the Sciences of the Qur'an, by: Muhammad Bakr Ismail (deceased: 1426 AH), Publisher: Dar Al-Manar, Edition: Second 1419 AH-1999 AD
6- Fath al-Qadir: Kamal al-Din Muhammad ibn Abd al-Wahed al-Siwasi, known as Ibn al-Hammam (deceased: 861 AH), publisher: Dar al-Fikr, edition: without edition and without date.
7- Eyes of judgment and sermons: Ali bin Muhammad Al-Laithi: investigation by Sheikh Hussein Al-Husseini Al-Bairjandi, edition: first, printing press: Dar Al-Hadith, publisher: Dar Al-Hadith.
8-The Balance of Wisdom: Muhammad Al-Rayshahri, Dar Al-Hadith for Printing, Publishing and Distribution, first edition: 1422 AH.
9-Al-Bayan Collector in the Interpretation of the Qur'an: Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghalib Al-Amili, Abu Jaafar Al-Tabari (deceased: 310 AH), investigator: Ahmed Muhammad Shaker, Al-Risala Foundation, Edition: First, 1420 AH - 2000 AD
10-The meanings of the Qur'an and its syntax: Ibrahim bin Al-Sari bin Sahl, Abu Ishaq Al-Zajj (deceased: 311 AH), investigator: Abdul Jalil Abdo: The World of Books - Beirut, Edition: 1st 1408 AH - 1988 AD
11-The provisions of the Qur'an: Ahmed bin Ali Abu Bakr Al-Razi Al-Jassas Al-Hanafi (deceased: 370 AH), investigator: Muhammad Sadiq Al-Qamhawi - member of the Qur'an review committee in Al-Azhar Al-Sharif: Arab Heritage Revival House - Beirut, date of publication: 1405 AH
12-The brief editor in the interpretation of the dear book: Abu Muhammad Abd al-Haq bin Ghalib bin Abd al-Rahman bin Tammam bin Attia al-Andalusi al-Maharbi (deceased: 542 AH), investigator: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad: Dar al-Kutub al-Ilmiya - Beirut, edition: the first - 1422 AH
13-Al-Bahr Al-Muheet fi Tafseer: Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi (deceased: 745 AH) Investigator: Sidqi Muhammad Jamil: Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH
14-The Long Sea in the Interpretation of the Glorious Qur'an: Abu al-Abbas Ahmed bin Muhammad bin al-Mahdi bin Ajiba al-Hasani al-Angri al-Fasi al-Sufi (deceased: 1224 AH), investigator: Ahmed Abdullah al-Qurashi Raslan: Dr. Hassan Abbas Zaki - Cairo, Edition: 1419 AH
15-The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Muthani: Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husayni al-Alusi (deceased: 1270

AH), investigator: Ali Abdul Bari Attia: Dar al-Kutub al-Ilmiya - Beirut, Edition: First, 1415 AH
16-The Constitution of Ethics in the Qur'an: Muhammad bin Abdullah Daraz (deceased: 1377: Al-Risala Foundation, Edition: Tenth 1418 AH / 1998 AD
17-Reforming the Soul: Religious Reference, Mr. Kamal Al-Haidari, Imam Al-Jawad Foundation for Thought and Culture.
18-The Book of Ethics: Muhammad Amin: Hindawi Foundation, 2011.
19-Refining morals and purifying races: Ahmed bin Muhammad bin Miskawiya, Al-Mataba' Al-Hasaniyyah, 1954 AD.
20-Investigations in the Philosophy of Ethics: Muhammad Yusuf Musa: Hindawi.
21- The Total Language of Ibn Faris: Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (deceased: 395 AH), study and investigation: Zuhair Abdul Mohsen Sultan, Publishing House: Al-Risala Foundation - Beirut, second edition - 1406 AH - 1986 AD
22-Linguistic differences: Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl bin Saeed bin Yahya bin Mahran Al-Askari (deceased: around 395 AH), verified and commented on by: Muhammad Ibrahim Salim: Dar Al-Ilm and Al-Thaqafa for publication and distribution, Cairo - Egypt
23-Refining the Language: Muhammad bin Ahmad bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (deceased: 370 AH), investigator: Muhammad Awad Merheb: Arab Heritage Revival House - Beirut, Edition: First, 2001 AD
24-Vocabulary in Gharib Al-Qur'an: Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Ragheb Al-Isfahani (deceased: 502 AH), investigator: Safwan Adnan Al-Dawudi: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, Edition: First - 1412 AH
25-The specific: Abu Al-Hassan Ali bin Ismail bin Sayeda Al-Mursi (deceased: 458 AH), investigator: Khalil Ibrahim Jaffal, publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut, edition: first, 1417 AH 1996 AD
26-Evidence of Miracles in the Science of Meanings: Abu Bakr Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman bin Muhammad al-Farsi, the original, al-Jurjani al-Dar (deceased: 471 AH), investigator: Mahmoud Muhammad Shaker Abu Fahr. Publisher: Al-Madani Press in Cairo - Dar Al-Madani in Jeddah, Edition: Third 1413 AH 1992 AD
27-Clear Fatwas According to the Ahl al-Bayt Doctrine: His Eminence the Great Ayatollah Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr: Investigation: The Investigation Committee of the International Conference of Imam al-Shahid al-Sadr, Center for Research and Specialized Studies of the Martyr al-Sadr, first edition / 1422 AH